74 - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين .

- 75 - وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين .

- 76 - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين .

- 77 - فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين .

- 78 - فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون .

- 79 - إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .

قال الضحاك عن ابن عباس : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ وقال مجاهد والسدي : آزر اسم صنم قلت : كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فا أعلم وقال ابن جرير : هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج وهي أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير : والصواب أن اسم أبيه أزر وقد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقبا وهذا الذي قاله جيد قوي وا أعلم . وقرأ الجمهور بالفتح إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه والمقصود أن إبراهيم وعظ أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها فلم ينته كما قال : { وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر تتخذ أصناما آلهة } أي أتتأله لصنم تعبده من دون ا { إني أراك وقومك } أي السالكين مسلكك { في ضلال مبين } أي تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم وقال تعالى : { واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ... إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ... يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا } فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو ا تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم } وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر : يا بني اليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم أي رب ألم تعدني أنك لا تخزني يوم يبعثون وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقال : يا إبراهيم انظر ما وراءك فإذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وقوله : { وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض } أي نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية

ا D في ملكه وخلقه وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كقوله : { قل انظروا ماذا في السموات والأرض } .

وقوله تعالى : { أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض } وقال : { أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض } . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين } فإنه تعالى جلى له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فيحتمل أن يكون كشف له عن " بصره " حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن يكون عن " بصيرته " حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل في حديث المنام : " أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : لا أدري يا رب فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت ذلك " وذكر الحديث . وقوله : { وليكون من الموقنين } قيل الواو زائدة تقديره : وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين كقوله : { وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين } وقيل : بل هي على بابها أي نريه ذلك ليكون عالما وموقنا .

وقوله تعالى : { فلما جن عليه الليل } أي تغشاه وستره { رأى كوكبا } أي نجما (قيل : الزهرة وقيل : المشتري وهو قول الطبري وكان قومه يعبدون الكواكب) { قال هذا ربي فلما أفل } أي غاب . قال محمد بن إسحاق الأفول : الذهاب وقال ابن جرير : يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولا وأفلا : إذا غاب ومنه قول ذي الرمة : .

مصابيح ليست باللواتي نقودها ... دياج ولا بالآفلات الزوائل .

ويقال : أين أفلت عنا ؟ بمعنى أين غبت عنا . { قال : لا أحب الآفلين } قال قتادة : علم أن ربه دائم لا يزول { فلما رأى القمر بازغا } أي طالعا { قال هذا ربي فلما أفل قال } لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين { فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي } أي هذا المنير الطالع ربي { هذا أكبر } أي جرما من النجم والقمر وأكثر إضاءة { فلما أفلت } أي غابت { قال يا قوم إني بريء مما تشركون ... إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض } أي خلقهما { حنيفا وما أنا من المشركين } أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي { للذي فطر السموات والأرض } أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق { حنيفا } أي في حال كوني حنيفا أي مائلا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال : { وما أنا من المشركين } . وقد اختلف المفسرون في هذا المقام : هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروى ابن جرير عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا بقوله : { لئن لم يهدني ربي } الآية . وقال محمد بن إسحاق : قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمروذ بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ

فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف .

والحق أن إبراهيم E كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة وهي (القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل) وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولا صلوات ا وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيع عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الأجرام خلقها ا منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من الشرق ثم تسير فيما بينه وبين الغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للإلهية ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع { قال يا قوم إني بريء مما تشركون } أي أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون { إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين } أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربه وملكيه وإلهه كما قال تعالى : { إن ربكم ا الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك ا رب العاليمن } وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال ا في حقه : { ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ... إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون } الآيات وقال تعالى : { إن إبراهيم كان أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين ... شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم } .

وقوله تعالى : { قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين } وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : " كل مولود يولد على الفطرة " وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " قال ا إني خلقت عبادي حنفاء " وقال ا في كتابه العزيز : { فطرة ا التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا } وقال تعالى : { وإذ أخذ ربك من بني

آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى } ومعناه على أحد القولين كقوله : { فطرة ا التي فطر الناس عليها } كما سيأتي بيانه فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله ا أمة قانتا حنيفا ولم يك من المشركين ناظرا في هذا المقام بل هو أولى بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلّم بلا شك ولا ريب ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى :